الكتاب الثالث

التفرد والعزلة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد؛ فمن كتب الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ التي هي في عداد المفقود كتاب «التفرد والعُزلة».

وقد ذكر هذا الكتاب غير واحد ممن ترجم له.

١ ـ قال العلائي في «إثارة الفوائد المجموعة في الإشارة إلى الفرائد المسموعة» (١/ ١٦٩) عند ذكره لكتب الآجري: كتاب «التفرُّد والعُزلة» له في جزأين. ثم ذكر إسناده إلى ابن بشران.

٢ ـ وقال ابن حجر في «المعجم المفهرس» (٢٦٦): كتاب «التفرد والعزلة» لأبي بكر الآجري. وذكر بإسناده كذلك إلى ابن بشران.

٣ ـ وكذا ذكره السيوطي في كتابه «أَنْشاب الكُتب في أَنْساب الكُتُب» (ص١٧٣) (٥٩٨)، وساق إسناده إليه إلى ابن بشران.

وقد وقفت على كثير من الأحاديث والآثار من طريق المصنف في أبواب التفرد والعُزلة والترغيب فيها، وبيان سببها، والتي مظانها في هذا الكتاب.

فقمت بجمعها وسقتها بأسانيد المصنف لها رجاء الفائدة منها، وإحياء لذكر هذا الكتاب، يسر الله لأهل السُّنة من يقف على أصله، وأن ييسر من يخرجه للانتفاع به.

١ ـ الترغيب في لزوم البيوت

١ ـ **قال أبو بكر الآجري**: حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد، ثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، ثنا عبد الواحد بن زياد، أنا عاصم، عن أبي كبشة، قال: سمعت أبا موسى رضي الله عنه يقول على المنبر: قال رسول الله ﷺ: «إن بين أيديكم فتنًا كقطع الليل المُظلم، يُصبح الرجل فيها مؤمنًا، ويُمسي كافرًا، ويُمسي مؤمنًا، ويُصبح كافرًا، القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي».

قالوا: فما تأمرنا؟

قال: «كونوا أحلاس بيوتكم»[1].

٢ ـ **قال أبو بكر الآجري**: حدثنا عمر بن أيوب السقطي، ثنا أحمد بن إبراهيم الموصلي، ثنا المعافى بن عمران، قال: حدثني يونس بن أبي إسحاق، ثنا هلال بن خباب، قال: حدثني عكرمة مولى ابن عباس، قال: بينما عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في أُناس حول النبي ﷺ ذكروا الفتنة عنده أو ذكرها، فقال: «إذا رأيت الناسَ قد مرجت عُهودهم، وخفَّت أماناتهم، وكانوا هكذا»، وشبَّك بين أنامله، فقمت إليه فقلت: كيف أفعل عند ذلك يا رسول الله؟ جعلني الله فداك.

قال: «الزم بيتك، وأمسك عليك لسانك، وخُذ ما تعرف، ودع

---

(١) تقدم تخريجه في كتاب «الفتن».

ما تُنكر، وعليك بأمر خاصَّتِك، وإياك وعوامهم»[١].

٣ ـ قال أبو بكر الآجري: حدثنا الفريابي، ثنا محمد بن الحسن البلخي، قال: أخبرنا عبد الله بن المبارك، قال: أخبرنا يحيى بن أيوب، عن عبيد الله بن زحر، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أُمامة رضي الله عنه، عن عُقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: قلت يا رسول الله ما النجاة؟

قال: «املك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»[٢].

٤ ـ قال أبو بكر الآجري: ثنا الحسين بن محمد بن عفير الأنصاري، ثنا أبو بشر الأصبهاني، ثنا الحسين بن حفص، ثنا أبو مسلم، قائد الأعمش، عن موسى بن عبد الله الأنصاري، عن حذيفة رضي الله عنه، قال: لوددت أني وجدت من يقوم لي في مالي فدخلت بيتي فأغلقت بابي فلم يدخل عليَّ أحد أبدًا، ولم أخرج إلى أحدٍ حتى ألحق بالله تعالى[٣].

٥ ـ قال أبو بكر الآجري: ثنا الحسين بن محمد بن عفير الأنصاري، ثنا أبو بشر الأصبهاني، ثنا الحسين بن حفص، ثنا أبو مسلم، قائد الأعمش، عن موسى بن عبد الله الأنصاري، عن حذيفة رضي الله عنه، قال: لوددت أني وجدت من يقوم لي في مالي فدخلت بيتي فأغلقت بابي فلم يدخل عليَّ أحد أبدًا، ولم أخرج إلى أحدٍ حتى ألحق بالله تعالى[٤].

٦ ـ قال أبو بكر الآجري: ثنا علي بن أزهر أبو الحسن الفرغاني بفرغان، ثنا

---

(١) «السنن الواردة في الفتن» (١١٧). تقدم تخريجه في «الفتن».
(٢) «السنن الواردة في الفتن» (١١٩). تقدم تخريجه في «الفتن».
(٣) «السنن الواردة في الفتن» (١١٩).
(٤) «السنن الواردة في الفتن» (١١٩).

عيسى بن يونس، عن ثور بن يزيد، عن أبي يحيى سليم بن عامر، قال: قال أبو الدرداء رضي الله عنه: نِعم صومعة الرجل بيته، يكفّ فيه بصره ونفسه وفرجه، وإياكم والمجالس في الأسواق فإنها تُلغي وتُلهي[١].

٧ ـ **قال أبو بكر الآجري**: حدثنا محمد بن جعفر الصندلي، ثنا الفضل بن زياد، ثنا عبد الصمد بن يزيد، قال: سمعت الفُضيل بن عياض، يقول: في آخر الزمان الزموا الصوامع.

قلنا: وما الصوامع؟

قال: البيوت، فإنه ليس ينجو من شرِّ ذلك الزمان إلَّا صفوته من خلقه[٢].

٨ ـ **قال أبو بكر الآجري**: ثنا محمد بن مخلد، ثنا محمد بن إسحاق الصاغاني، ثنا سعيد بن أبي مريم، أخبرنا ابن لهيعة، عن يسار بن عبد الرحمٰن، قال: قال لي بُكير بن الأشج: ما فعل خالك؟

قال: قلت: لَزِمَ البيت مُنذُ كذا وكذا.

فقال: إلَّا أن رجالًا من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد قتل عثمان رضي الله عنه فلم يخرجوا إلَّا إلى قبورهم[٣].

٩ ـ **قال أبو بكر الآجري**: أخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد بن البختري الحنائي، ثنا محمد بن عبيد بن حساب، ثنا حماد بن زيد، ثنا عمر بن يزيد ـ صاحب الطعام ـ، قال: سمعت الحسن أيام يزيد بن المُهلَّب، قال: وأتاه رهط فأمرهم أن يلزموا بيوتهم، ويغلقوا عليهم أبوابهم، ثم قال: والله لو أن الناس إذا ابتلوا من

---

(١) «التمهيد» (١٧/ ٤٤٢).

(٢) «السنن الواردة في الفتن» (١٢١).

(٣) «التمهيد» (١٧/ ٤٤٢).

قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يرفع الله ذلك عنهم، وذلك أنهم يفزعون إلى السيف فيوكلوا إليه، ووالله ما جاءوا بيوم خير قط، ثم تلا: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأعراف][1].

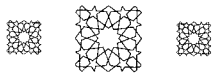

(١) «الشريعة» (٦٢).

٢ ـ اعتزال الناس والذهاب إلى الشعاب فرارًا من الفتن

١٠ ـ قال أبو بكر الآجري: أخبرنا الفِريابي، قال: أخبرنا عبد الرحمٰن بن إبراهيم الدمشقي، قال: أخبرنا ابن أبي فُديك، قال: حدثني يحيى بن عبد الله بن أبي قتادة، عن نافع بن مالك، قال: دخل عمر بن الخطاب المسجد فوجد معاذ بن جبل جالسًا إلى بيت النبي ﷺ وهو يبكي، فقال له عمر: ما يُبكيك يا أبا عبد الرحمٰن، هلك أخوك ـ لرجلٍ من أصحابه ـ؟

قال: لا؛ ولكن حديثًا حدثنيه حِبِّي ﷺ وأنا في هذا المسجد.

فقال: ما هو يا أبا عبد الرحمٰن؟

قال: أخبرني: «**أن الله عَزَّوَجَلَّ يُحبُّ الأخفياءَ الأتقياءَ الأبرياءَ، الذين إذا غابوا لم يُفتقدوا، وإن حضروا لم يُعرفوا، قلوبُهم مصابيحُ الهدى، يخرجون من كلِّ فتنةٍ عمياءَ مُظلِّمة**»(١).

١١ ـ قال أبو بكر الآجري: ثنا الفريابي، ثنا عبد الرحمٰن بن إبراهيم دحيم، ثنا الوليد بن مسلم، ثنا الأوزاعي، عن الزهري، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟

قال: «**الجهاد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ**».

قيل: ثم من؟

قال: «**رجلٌ في شعب من الشعاب، يتقي ربه عَزَّوَجَلَّ، ويذر الناس**

---

(١) «الغرباء» (٣٧).

من شرِّه»[١].

١٢ ـ قال أبو بكر الآجري: ثنا جعفر بن محمد الفريابي، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد بن خالد، عن إسماعيل بن عبد الرحمٰن بن أبي ذؤيب، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ خرج عليهم وهم جلوس، فقال: «ألا أخبركم بخير الناس منزِلًا؟».

قلنا: بلى يا رسول الله.

فقال: «رجلٌ يُمسك بعنان فرسه في سبيل الله حتى يُقتل أو يموت، ألَّا أخبركم بالذي يليه؟».

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: «رجلٌ مُعتزلٌ في شِعبٍ، يُقيم الصلاة، ويُؤتي الزكاة، ويَعتزل شرَّ الناس»[٢].

١٣ ـ قال أبو بكر الآجري: ثنا جعفر بن محمد الفريابي: ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا ابن لهيعة، عن بكير بن عبد الله بن الأشج، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بخير الناس؛ رجلٌ مُمسكٌ بعنان فرسه في سبيل الله، ألا أخبركم بالذي يتلوه؛ رجلٌ مُعتزِلٌ في غنيمة له يؤدي حقَّ الله فيها، ألا أخبركم بشرِّ الناس؛ رجلٌ يُسأل بالله ولا يُعطي به»[٣].

---

(١) «التمهيد» (١٧/ ٤٩٩). والحديث رواه البخاري (٢٧٨٦)، ومسلم (١٨٨٨).

(٢) «التمهيد» (١٧/ ٤٤٨).
والحديث رواه أحمد (١٩٨٧) و(٢١١٦)، ومسلم (٨٨٨).

(٣) «التمهيد» (١٧/ ٤٤٨)، وقال: وقد رواه بعضهم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه، والصحيح فيه عن ابن عباس إن شاء الله. اهـ.
رواه النسائي (٢٥٦٩)، والترمذي (١٦٥٢)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: حسن غريب من هذا الوجه. والبزار (٥٢٨٨) وقال: «وهذا لا يعرف بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه.

١٤ ـ قال أبو بكر الآجري: ثنا جعفر الفريابي، ثنا أبو جعفر النفيلي، ثنا محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أم مبشر بنت البراء بن معرور، قالت: سمعت النبي ﷺ يقول لأصحابه: «**ألا أخبركم بخير الناس؟**».

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: «**رجلٌ آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، ثم رجلٌ في غُنيمةٍ له يُقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، قد اعتزل شرور الناس**»(١).

١٥ ـ قال أبو بكر الآجري: ثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد العَطشي، ثنا إبراهيم بن الجنيد، ثنا محمد بن الحسين، قال: حدثني ابن سلمة الورَّاق، قال: حدثني قثم العابد، قال: حدثني عبد الواحد بن يزيد رحمه الله، قال: هبطت مرَّة واديًا، فإذا أنا براهب قد حبس نفسه في بعض غيرانه، فراعني ذلك.

فقلت: أجنيٌّ أم إنسيٌّ؟

قال: وفيم الخوف من غير الله عزوجل؟ لست بجنيٍّ، ولكن إنسيٌّ مغرور.

قال: قلت: منذ كم أنت هاهنا؟

قال: منذ أربع وعشرين سنة.

قال: **فقلت**: فمن أنيسك؟ قال: الوحوش.

قال: فما طعامك؟ قال: الثمار ونبات الأرض.

---

(١) «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٧٨٨٤، ٨٠٣٨)، و«التمهيد» (١٧/ ٤٥٠).
رواه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٣١٣)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٣٥٨)، وفي «الزهد» (٦٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٥/ رقم/ ٢٧١).
قلت: في سماع مجاهد من أم مبشر كلام، ينظر فيه «الكاشف» للذهبي (٢/ ٥٢٧).

قال قلت: فما تشتاق إلى الناس؟ قال: منهم هربت.

قلت: أفعلى الإسلام أنت؟

قال: ما أعرف غيره، إلَّا أن المسيح أمرنا في الكتب بالعُزلة والانفراد عند فساد الناس[١].

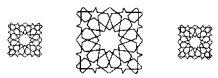

(١) «الأربعين في إرشاد السائلين» للطائي (ص١٨٧).

٣ ـ الأمر بالإقبال على النفس وترك أمر العامة

١٦ ـ قال أبو بكر الآجري: حدثنا محمد بن مخلد، ثنا إبراهيم بن هانئ، ثنا نُعيم بن حماد، ثنا ابن أبي حازم، عن أبيه، عن عمارة بن عمرو، عن عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «كيف بكم وزمان يغربل فيه الناس غربلة، تبقى حفالة من الناس، فإذا كان ذلك فخذوا ما تعرفون، وذروا ما تنكرون، وأقبلوا على خاصتكم، وذروا أمر العوام»[(١)].

١٧ ـ قال أبو بكر الآجري: حدثنا أبو بكر بن أبي داود، ثنا هارون بن سعيد الأيلي، ثنا ابن وهب، قال: أخبرني يعقوب بن عبد الرحمٰن، عن عمرو مولى المطلب، عن العلاء بن عبد الرحمٰن، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما: «كيف بك يا عبد الله بن عمرو إذا أبقيت في حثالة من الناس، قد مرجت عهودهم وأماناتهم، واختلفوا فصاروا هكذا»، وشبَّك بين أصابعه.

قال: قلت: يا رسول الله، ما تأمرني؟

قال: «عليك بخاصتك، ودع عنك عوامهم»[(٢)].

١٨ ـ قال أبو بكر الآجري: حدثنا الحسين بن محمد بن عفير، ثنا شعيب بن عبد الحميد الطحان، ثنا مؤمل، ثنا مبارك، عن الحسن، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال لي رسول الله ﷺ: «كيف أنت يا عبد الله بن عمرو، إذا بقيت في حثالة من الناس؟».

---

(١) «السنن الواردة في الفتن» (٢٥٣). انظر تخريجه في «الفتن».

(٢) «السنن الواردة في الفتن» (٢٥٥). انظر تخريجه في «الفتن».

قالوا: يا رسول الله، إذا كانوا كيف؟

قال: «إذا مرجت عهودهم وأماناتهم، واختلفوا فصاروا هكذا»، وشبَّك بأصابعه.

قال: قال: يا رسول الله، ما تأمرني؟

قال: «آمرك أن تتقي الله عَزَّوَجَلَّ، فما عرفت أخذت، وما أنكرت تركت، وعليك بخاصة نفسك، وإياك وعوامهم»(١).

١٩ ـ **حدثنا** أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني، ثنا سعيد بن سليمان، عن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «تكون فتنة القاعد فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من يستشرف لها تستشرف له، ومن وجد منها ملجأ أو معاذًا فليعذ به»(٢).

٢٠ ـ **حدثنا** الفريابي، ثنا وهب بن بقية الواسطي، أنا خالد ـ يعني: ابن عبد الله الواسطي ـ، عن عبد الرحمٰن بن إسحاق، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «تكون فتنٌ كرياح الصيف، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الماشي، من استشرف لها استشرفته»(٣).

٢١ ـ **أخبرنا** أبو العباس عبد الله بن الصقر السكري، قال: حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسب، قال: ثنا إسحاق بن إبراهيم بن سعيد، قال: ثنا صفوان بن سليم، عن عبد الله بن دينار، عن أبي صالح السمان، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبيَّ ﷺ قال: «طُوبى لعبدٍ مُغبَّرةٌ قدماه في سبيلِ الله عَزَّوَجَلَّ، شَاعثٌ رأسه، إن

---

(١) «السنن الواردة في الفتن» (٢٥٦).

(٢) «الشريعة» (٧٣). رواه البخاري (٣٦٠١)، ومسلم (٢٨٨٦).

(٣) «الشريعة» (٧٤).

كانت الساقةِ كان فيهم، وإن كان الحَرس كان فيهم، وإن شفعَ لم يُشفَّع، وإن استأذنَ لم يُؤذن له، طُوبى له، ثم طُوبى»[١].

٢٢ ـ أخبرنا أبو سعيد الحسن بن علي الجصَّاص، قال: ثنا محمد بن عزيز الأيلي، قال: حدثني سلامة بن روح، عن عقيل بن خالد، عن ابن شِهاب، قال: حدثني أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«رُبَّ أغبر، ذي طمرين، لا يُؤبه له**[٢]**، لو أقسم على الله عز وجل لأبرَّه»**[٣].

٢٣ ـ حدثنا أبو بكر بن أبي داود، قال: ثنا محمود بن خالد، قال: حدثنا سويد بن عبد العزيز، قال: ثنا زيد بن واقد، عن بُسر بن عبيد الله، عن أبي إدريس الخولاني، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«ألا أخبِرُكم عن مُلوكِ أهل الجنَّةِ؟»**.

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: **«كل ضَعيفٍ، أغبر، ذي طِمرَينِ، لا يُؤبَه له، لو أَقسَمَ على اللهِ عز وجل لأبرَّه»**[٤].

٢٤ ـ حدثني أبو محمد بن صاعد، قال: ثنا الحسين بن الحسن، قال: أخبرنا الفضل بن موسى، قال: حدثنا حزم بن مهران القطعي، قال: سمعت معاوية بن قُرَّة، يقول: بلغنا أن كعبًا[٥] كان يقول: طُوبى لهم، طُوبى لهم.

---

(١) الغرباء (٢٦).

(٢) الطِّمْر: الثوبُ الخَلِق.

وقوله: «لا يؤبه به»، أي: لا يُبالى به، ولا يُلتفَت إليه. «النهاية» (٥/ ١٤٧).

(٣) «الغرباء» (٢٧).

(٤) «الغرباء» (٢٨).

(٥) يعني: الأحبار رحمهم الله.

فقيل: ومن هم يا أبا إسحاق؟

قال: طوبى لهم إن شَهِدُوا لم يُدخَلوا، وإن خَطبوا لم يُنكحوا، وإن ماتوا لم يُفتقَدوا[١].

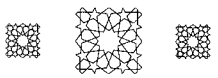

(١) الغرباء (٣٢).

٤ ـ الترغيب في قلة معرفة الناس والانشغال بالنفس[١]

٢٥ ـ قال أبو بكر الآجري: ثنا عبد الله بن محمد بن عبد الحميد، ثنا إسماعيل بن أبي الحارث، قال: سمعت أحمد بن عبد الله بن يونس، يقول: سمعت سفيان الثوري يقول: ما رأيت لأحدٍ خيرًا من أن يدخل في جُحرٍ.

وقال يحيى بن يمان: قال لي سفيان: أنكر من تعرف، ولا تتعرف إلى من لا تعرف[٢].

٢٦ ـ قال أبو بكر الآجري: ثنا يحيى بن محمد بن صاعد، سمعت الحسين بن الحسن المروزي، يقول: سمعت سفيان بن عيينة يقول: رأيت الثوري في النوم، فقلت له: أوصني.

فقال: أقلَّ من معرفة الناس، أقلَّ من معرفة الناس.

قال ابن عيينة: كأنه ملدوغٌ من مجالسة الناس[٣].

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في «الفوائد» (ص٥٢): الاجتماع بالإخوان قسمان:

أحدهما: اجتماع على مؤانسة الطبع وشغل الوقت؛ فهذا مضرته أرجح من منفعته، وأقل ما فيه أنه يفسد القلب، ويُضِيع الوقت.

والثاني: الاجتماع بهم على التعاون على أسباب النجاة، والتواصي بالحق والصبر؛ فهذا من أعظم الغنيمة وأنفعها؛ ولكن فيه ثلاث آفات:

إحداها: تَزَيّن بعضهم لبعض.

الثانية: الكلام والخلطة أكثر من الحاجة.

الثالثة: أن يصير ذلك شهوة وعادة يَنْقَطِع بها عن المقصود. اهـ.

(٢) «التمهيد» (١٧/ ٤٤٤).

(٣) «التمهيد» (١٧/ ٤٤٤).

٢٧ ـ قال أبو بكر الآجري: حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، ثنا إسماعيل بن أبي الحارث، ثنا كثير بن هشام، ثنا عيسى بن إبراهيم، عن الضحاك بن يسار، عن أبي عثمان النهدي، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ليأتين على الناس زمان يكون صالحو الحي فيهم في أنفسهم، إن غضبوا غضبوا لأنفسهم، وإن رضوا رضوا لأنفسهم، لا يغضبون لله عز وجل، ولا يرضون لله عز وجل، فإذا كان ذلك الزمان فاحترسوا من الناس بسوء الظن[١].

٢٨ ـ قال أبو بكر الآجري: ثنا أبو الفضل الشكلي، حدثني الحسين بن محمد، قال: قال بشر بن الحارث:

برمت بالناس وأخلاقهم ... فصرت أستأنس بالوحدة

قال أبو الفضل: فزدت أنا هذا، فقلت:

هذا لعمري فعل أهل التُّقى ... وفعل من يطلب ما عنده

من عرف الله فذاك الذي ... آنسه الله به وحده[٢]

٢٩ ـ قال أبو بكر الآجري: ثنا عبد الله بن محمد العطشي، حدثنا إبراهيم بن الجنيد، ثنا محمد بن الحسين، ثنا منقذ بن بكر، ثنا مسمع بن عاصم، عن هشام بن حسان، عن ميمون بن مهران: أن راهبًا دخل على عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر: ألم أخبر أنك تديم البُكاء، فلِمَ ذاك؟!

قال: إني والله يا أمير المؤمنين عَهِدتُ الناس وما شيء عندهم آثرُ من دِينهم، وما شيءٌ اليوم آثرُ عندهم من دُنياهم، فعلمت أن الموت اليوم خيرٌ للبر والفاجر.

---

(١) «السنن الواردة في الفتن» (٢٣٨).

(٢) «أمالي ابن بشران» (١٦٣٩).

قال: فلما خرج، قال عمر: صدق يا أبا أيوب الرَّاهب[١].

٣٠ ـ قال أبو بكر الآجري: أخبرنا أبو الفضل العباس بن يوسف الشِّكْلي، قال: ثنا محمد بن إسحاق السُّلمي، قال: ثنا محمد بن صالح التيمي، قال: قال أبو عبد الله مؤذِّن مسجد بني حرَامٍ: جاورني شابٌّ، فكنت إذا أذنتُ للصلاة وأقمت فكأنه في نَقرة قفاي، فإذا صليتُ صلى، ثم لبس نعليه، ثم دخل منزله، فكنت أتمنَّى أن يُكلمني أو يسألَني حاجة، فقال لي ذات يوم: يا أبا عبد الله، عندك مصحفٌ تُعيرني أقرأ فيه؟ فأخرجتُ إليه مُصحفًا فدفعته إليه، فضمَّه إلى صدره، ثم قال: ليكونَنَّ اليومَ لي ولك شأنٌ.

ففقدته ذلك اليوم فلم أره يخرج، فأقمت للمغرب فلم يخرج، وأقمت لعشاء الآخرة فلم يخرج، فساءَ ظنِّي، فلما صليت عشاء الآخرة جئت إلى الدار التي هو فيها، فإذا فيها دلوٌ ومطهرة، وإذا على بابه سِترٌ، فدفعت الباب وإذا به ميتًا والمصحف في حِجره، فأخذت المصحف من حِجره، واستعنت بقومٍ على حمله حتى وضعناه على سريره، وبقيتُ ليلتي أُفكِّرُ من أُكلِّم حتى يكفنه، فأذنت الفجر بوقت، ودخلت المسجد لأركع، فإذا بضوءٍ في القبلة، فدنوت منه فإذا بكفنٍ ملفوفٍ في القبلة فأخذته، وحمدت الله تعالى، وأدخلته البيت وخرجت، فأقمتُ الصلاة فلما سلمت، وإذا عن يميني ثابت البُناني، ومالك بن دينار، وحبيب الفارسي، وصالح المُرِّي، فقلت لهم: يا إخواني، ما غدا بكم؟

قالوا لي: مات في جوارك الليلة أحدٌ؟

قلت: مات شابٌّ، كان يُصلي معي الصلوات.

---

(١) «الحلية» (٤/ ٩١).

قالوا لي: أرناه. فلما دخلوا عليه كشف مالك بن دينار الثوب عن وجهه، ثم قبَّل موضع سجوده، ثم قال: بأبي أنت يا حجاج، إذا عُرفت في موضعٍ تحوَّلت منه إلى موضعٍ غيره حتى لا تُعرف، خذوا في غسله، وإذا مع كلِّ واحدٍ منهم كفنٌ، فقال كل واحدٍ منهم: أنا أُكفِّنه، فلما طالَ ذلك منهم، قلت لهم: إني فكَّرت في أمره هذه الليلة، فقلت: من أُكلِّم حتى يُكفِّنه، فأتيت المسجد، فأذَّنت، ثم دخلت لأركع، فإذا كفنٌ ملفوفٌ لا أدري من وضعه.

فقالوا: يُكفَّن في ذلك الكفن.

فكفَّناه وأخرجناه، فما كدنا نرفع جنازته من كثرة من حضره من الجمع[1].

٣١ ـ قال أبو بكر الآجري: ثنا عبد الله بن محمد العطشي، ثنا إبراهيم بن الجنيد، ثنا عون بن إبراهيم بن الصلت، قال: حدثني أحمد بن الغمر الحمصي، قال: سمعت محمد بن المبارك الصوري، قال: قلت لراهب: متى يبلغ الرجل حقيقة الأُنس بالله؟

قال: إذا صفا الودُّ فيه، وخلصت المعاملة فيما بين العبد وبين الله.

قال: قلت: فمتى يصفو الودُّ وتخلص المُعاملة؟

قال: إذ اجتمع الهمُّ فصار في الطاعة.

قلت: ومتى يجتمع الهمُّ فيصير في الطاعة؟

قال: إذا اجتمعت الهموم فصارت همًّا واحِدًا.

قلت: يا راهب، بم يُستعان على قِلَّة المطعم؟

---

(١) «الغرباء» (٣٨).

قال: بالتحري في المكسب، والنظر في الكسوة.

قلت: عظني وأوجز.

قال: كُلْ من حلال وارقد حيث شئت.

قال: قلت له: فأين طريق الراحة؟

قال: في خلاف الهوى.

قلت: فمتى يجد الرجلُ الراحة؟

قال: عند أول قدمٍ يضعها في الجنة.

قلت: بماذا أقطع الطريق إلى الله؟

قال: بالسهر الدائم، والظمأ في الهواجر.

قلت: ما علامة العلم؟

قال: الخوف والشفقة.

قلت: ما علامة الجهل؟

قال: الحرص والرغبة.

قلت: ما علامة الورع؟

قال: الهرب من مواطن الشُّبهة.

قلت: فما الذي عقلك في هذه البيعة؟

قال: بلغني أنه من مشى على الأرض عثر، ففزعت فزعة الأكياس، فتحصَّنت بمن في السماء من فتنة من في الأرض، وذلك أنهم سُرَّاق العقول فخشيت أن يسرقوا عقلي.

قلت: فمن أين تأكل في هذه الصومعة؟

قال: بذر أبذره من بذر اللطيف الخبير. ثم قال: إن الذي خلق الرحا يجيء بالطحين. قال: وأومأ بيده إلى ضرسه، ثم قال: من رزق حسن الظن بالله أفيد الراحة.

قال إبراهيم بن الجنيد: وأنشدني شيخ من طلبة العلم لبعضهم:

وما عاشق الدنيا بناج من الردى ... ولا خارج منها بغير غليل
وكم ملك قد صغر الموت قدره ... فأخرج من ظل عليه ظليل[١]

٣٢ ـ قال أبو بكر الآجري: ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن هارون العسكري، قال: أخبرنا إبراهيم بن الجنيد الخَتّلي، قال: حدثني أبو عبد الله محمد بن العباس، قال: حدثني محمد بن معاوية الصوفي، قال: أخبرني رجلٌ من أهل خُراسان، قال: أوحى الله عَزَّوَجَلَّ إلى نبيٍّ من الأنبياء: إن أردت لقائي غدًا في حظيرة القُدس فكن في الدنيا غريبًا، محزونًا، مستوحشًا، كالطير الوحداني الذي يطير في الأراضي القِفار، ويأكل من رؤوس الأشجار، فإذا كان الليل أوى إلى وَكْرِه ولم يكن مع الطير استئناسًا برَبِّه، واستيحاشًا من الناس[٢].

٣٣ ـ قال أبو بكر الآجري: أنشدني أبو بكر محمد بن الجَهم المَالكي لبعض الحكماء:

فتًى كاسٍ فلم ياسَ ... على ما يُعطِبُ الناسا
ولكن جدَّ في السيرِ ... فما قَصَّرَ مُذُ كاسَا
وقومٌ جمعوا الدنيا ... فصارَ القومُ حُرَّاسا
فلم يشغل بهم قلبًا ... ولم يرفعْ بهم راسَا
فتًى ألبسه اللهُ الـ ... ـغنى والعزَّ والباسا
فلم يفتحَ حانوتًا ... ولم يختمِ الاكياسا
ولم يَألفُ مَخلوقًا ... ولم يَطلبُ جُلَّاسا
ولكن جعلَ الذِّكر ... مع القرآنَ أُنَّاسا

---

(١) «الحلية» (١٠/ ١٣٢).
(٢) «الغرباء» (٢٥).

لـــه دَمـــعٌ يُـــنـــبِـــيـــكَ عـــن الـــقـــلـــبِ ومـــا قَـــاســـى
ويُـــشـــجـــيـــكَ إذا مـــا يُـــتـــ ـــبِـــعُ الأنـــفـــاسَ أنـــفـــاســـا
تـــراه فـــي الـــصَّـــحـــاري لـــجـــ ـــلالِ الله لـــــمَّـــــاســـــا
ولـــو قـــيـــلَ لـــه فـــي قـــو مـــه: واسٍ بـــه واســـى
غـــدًا يـــخـــرجُ مـــن أبـــ ـــيضِ خـــلـــقِ الله قِـــرطـــاســـا
إذا مـــا قـــيـــل لـــلأبـــرا رِ: قـــومـــوا واشـــربـــوا الـــكـــاســـا
مـــضـــى يَـــخـــتـــرقُ الـــوِر د إلـــى الأتـــرابِ والآسِ
فـــقـــد صـــارت مَـــواتـــيـــم مُـــحـــبِّ الله أعـــراسَـــا[1]

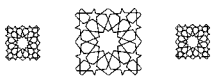

(١) «الغرباء» (٢٢).

٥ ـ الحث على التقليل من الأولاد أيام الفتن

٣٤ ـ قال أبو بكر الآجري: حدثنا محمد بن الحسين، قال: وأخبرنا ابن بدينا، أيضا ثنا محمد بن عمار، ثنا المعافى، عن ابن لهيعة، عن عبيد الله بن أبي جعفر، عن مكحول، عن حذيفة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يتمنَّى أبو الخمسة أنهم أربعة، وأبو الأربعة أنهم ثلاثة، وأبو الثلاثة أنهم اثنان، وأبو الاثنين أنهما واحد، وأبو الواحد أن ليس له ولد**»(١).

٣٥ ـ قال أبو بكر الآجري: حدثنا أبو جعفر محمد بن الحسن الدقاق، ثنا محمد بن عبد الله بن عمار، ثنا المعافى، عن ابن لهيعة، عن عبيد الله بن أبي جعفر، عن مكحول، عن حذيفة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يتمنَّى أبو الخمسة أنهم أربعة، وأبو الأربعة أنهم ثلاثة، وأبو الثلاثة أنهم اثنان، وأبو الاثنين أنهما واحد، وأبو الواحد أنه ليس له ولد**»(٢).

٣٦ ـ قال أبو بكر الآجري: ثنا جعفر بن محمد الفريابي، ثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة، ثنا محمد بن سلمة الحراني، عن أبي عبد الرحيم، عن أبي عبد الملك، عن القاسم، عن أبي أُمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**أغبط الناس عندي: مؤمنٌ خفيف الحاذ، ذو حظٍّ من الصلاة، وأحسن عبادة ربه، وأطاعه في السِّرِّ، وكان غامضًا في الناس، لا يُشار إليه بالأصابع، ذو كفاف، وصبر على ذلك**».

---

(١) «السنن الواردة في الفتن» (٢٣٣). انظر تخريجه في «الفتن».
(٢) «السنن الواردة في الفتن» (٤٣٨).

ثم نقر بيده فقال: «**عجِلت مَنيَّته، وقلَّت بَواكيه، وقلَّ تراثه**»(١).

---

(١) رواه المصنف في «الغرباء» (٣٤)، وهو حديث ضعيف.

ـ قال ابن رجب رحمه الله كما في «مجموع الرسائل» (٢/ ٧٤٣) باختصار:

وقوله: «**خفيف الحاذ**»: فسَّره الأصمعي: بقلَّة المال.

قال ابن قتيبة: ويُفسر أيضًا بقلة العيال، ويشهد لهذا قول أبي ذر رضي الله عنه: ليأتين عليكم زمان يغبط الرجل فيه بخفة الحاذ، كما يغبط اليوم فيكم أبو عشرة. خرجه أبو نعيم وغيره.

فأما قِلة المال: فهو ما يغبط به صاحبه في الدنيا إذا صبر على ذلك أو رضي به.

وأما قِلة العيال فهو مما يغبط به المؤمن أحيانًا لا سيما مع فقره وحاجته، ولهذا يقال: قلة العيال أحد اليسارين. فإن كثرة العيال قد يحمل المؤمن على طلب الرزق لهم من الوجوه المكروهة، ولهذا وقع في كلام كثير من السلف ذم العيال، فكان سفيان الثوري يقول: لا يعبأ بصاحب عيال، فقلما رأيت صاحب عيال إلَّا خلط. وكان يقول: لا أعتد بعبادة رجل له عيال. وقال: لو حدثت عن ذي العيال أنه كفر ما أبعدت. وقال: صاحب العيال لا يكون ورعًا أبدًا. وقال: من تزوَّج فقد ركب البحر، فإن ولد له فقد كسر المركب. وقال: كانت لنا هرَّة لا تؤذينا، فلما ولدت كشفت القدور.

وعاتب سفيان رجلًا من كتاب الأُمراء على كتابته معهم، وقال له سفيان: كلما دعي بأمير ممن كتبت له دعيت أنت معه، فسئلت عما جرى على يدك فأنت أسوؤهم حالًا. فقال له الرجل: فكيف أصنع بعيالي؟! فقال سفيان: اسمعوا هذا، يقول: إذا عصى الله رزق عياله، وإذا أطاع الله ضيع عياله، ثم قال سفيان: لا تقتدوا بصاحب عيال، فما كان عذر من عوتب إلَّا أن قال: عيالي.

وقال: يؤمر بالرجل إلى النار يوم القيامة فيقال: هذا عياله أكلوا حسناته.

ولما ولي شريك قضاء الكوفة هجره سفيان وقال: أي رجل أفسدوه!

فقال شريك: لو كان لسفيان بنات، أفسدوه أكثر مما أفسدوني.

وكان الإمام أحمد ينكر على من كره كثرة الأزواج والعيال، ويستدل بحال النبي ﷺ وأصحابه من كثيرة أزواجهم وعيالهم، ويمثل قوله: «**تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة**»، ولكنه يأمر مع هذا بطلب الحلال والكسب، والصبر على الفقر وإن شق، فالإمام أحمد أمر بما جاء الأمر به في الشرع، وسفيان نظر إلى قلة صبر الناس إلى ما يئول إليه حالهم عند كثرة =

. . . . . .

= عيالهم من ترك الورع، والتكسب من الوجوه المكروهة، وهذا هو الغالب على الناس لا سيما مع قلة العلم والصبر، وأما حال الصابرين على العيال المحافظين على الورع معهم فعزيز جدًّا كحال الفضيل لما دخل عليه الرشيد فأعطاه ألف دينار، فأبى أن يأخذها، فخرج عنه، فجاء إليه بعض عياله فقالوا له: لو قبلت هذا المال ففرجت به عنا، قال: مثلي ومثلكم كمثل رجال كان لهم جمل يستقون عليه، فلما كبر نحروه، فأكلوا لحمه.

وكان الإمام أحمد له عيال وكان يومًا لا يكون عنده شيء يفرح، وقال: أسر أيامي يوم أصبح وليس عندي شيء.

وأيضًا فكثرة العيال مما يوجب تعلق القلب بهم، فيشغل ذلك عن محبته وخدمته لله، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩﴾.

قال أبو حازم: كل ما شغلك عن الله من مال أو ولد فهو عليك شؤم.

وقد روى أبو نعيم بإسناد ضعيف من حديث ابن مسعود ﷺ مرفوعًا: «**إذا أحب الله عبدا اقتناه لنفسه، ولم يشغله بزوجة ولا ولد**».

قوله: «**وكان غامضًا في الناس لا يشار إليه بالأصابع**»، يدل على فضل العبد التقي الخفي.

وفي حديث سعد ﷺ عن النبي ﷺ: «**إن الله يحب العبد الغني التقي الخفي**».

وفي حديث معاذ ﷺ المرفوع: «**إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء؛ الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا، مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مُظلمة**». خرجه ابن ماجه.

وخرج من حديثه مرفوعًا أيضًا: «**ألا أخبركم عن ملوك الجنة؟**» قلت: بلى. قال: «**رجل ضعيف مستضعف، ذو طمرين، لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره**».

وفي حديث آخر: «**رب أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره**».

ما زال الصادقون من العلماء والصالحين يكرهون الشهرة ويتباعدون عن أسبابها، ويحبون الخمول، ويجتهدون على حصوله.

وقال بعضهم: ما اتقى الله من أحبَّ الشهرة.

وكان أيوب السختياني يقول: ما صدق عبد إلَّا أحبَّ أن لا يشعر بمكانه. =

. . . . . .

= ولما اشتهر بالبصرة كان إذا خرج إلى موضع يتحرَّى المشي في الطرقات الخالية، ويجتنب سلوك الأسواق والمواضع التي يعرف فيها.

وكان سفيان الثوري لما اشتهر يقول: وددت أن يدي قطعت من إبطي، وأني لم أشتهر ولم أعرف.

ولما اشتهر ذكر الإمام أحمد، اشتدَّ غمه وحزنه، وكثر لزومه لمنزله، وقل خروجه في الجنائز وغيرها، خشية اجتماع الناس عليه.

وكان يقول: طوبى لمن أخمل الله ذكره. وكان يقول: لو قدرت على الخروج من هذه المدينة ـ يعني: بغداد ـ لفعلت حتى لا أذكر عند هؤلاء ـ يعني: الملوك ـ. فكان إذا مشي معه أحد من أقاربه يعرفه الناس، أبعده عنه لئلا يعرف به، وكان لا يدع أحدًا يمشي معه في الطريق ولا يتبعه، فإن تبعه أحد وقف حتى ينصرف الذي معه.

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول لمن تبعه: لو تعلمون ما أغلق عليه بابي لم يتبعني منكم أحد.

ورأى عمر رضي الله عنه قومًا يتبعون رجلًا فعلاهم بالدرة، وقال: إن خفق النعال خلف الأحمق، قل ما يبقي من دينه.

ورئي سفيان في النوم بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. قيل له: هل رأيت شيئًا تكرهه؟ قال: نعم، الإشارة بالأصابع. يعني: قول الناس هذا سفيان.

الإشارة إلى الرجل بالأصابع فتنة، وإن كان في الخير.

كان بعض التابعين إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة أنفس قام خوف الشهرة.

وكان علقمة يكثر الجلوس في بيته، فقيل له: ألا تخرج فتحدث الناس. فقال: أكره أن يوطأ عقبي، ويقال: هذا علقمة، هذا علقمة.

كان كثير من الصادقين من السلف يجتنب لباس الثياب التي يظن بأصحابها الخير، إبعادًا لهذا الظن عن أنفسهم.

وكان ابن محيريز يدعو فيقول: اللهم إني اسألك ذكرًا خاملًا.

وقال مطرف: انظروا قومًا إذا ذكروا ذكروا بالقراءة، فلا تكونوا منهم، وانظروا قوما إذا ذكروا ذكروا بالفجور فلا تكونوا منهم، وكونوا بين ذلك.

وهذا هو الذكر الخفي المشار إليه في حديث سعد، وهو من أعظم نعم الله =

. . . . . .

= على عبده المؤمن، الذي رزقه نصيبًا من ذوق الإيمان، فهو يعيش به مع ربه عيشًا طيبًا، ويحجبه عن خلقه حتى لا يفسدوا عليه حاله مع ربه، فهذه هي الغنيمة الباردة، فمن عرف قدرها وشكر عليها فقد تمت عليه النعمة.

وقد ورد في بعض الآثار أن العبد يسأل عن شكر هذه النعمة يوم القيامة.

قوله: «**عجلت منيته، قلت بواكيه، قل تراثه**»، يعني: أنه يعجل له الموت على هذه الصفة، وهي أن يكون من يبكي عليه قليلًا، وذلك لقلة عياله كما سبق، وأن يكون تراثه قليلًا، ويعني بتراثه الذي يخلفه من الدنيا، وبذلك فسَّره الإمام أحمد وغيره.

وهذا الكلام يحتمل أن يكون إخبارًا عن حال هذا المؤمن، ويحتمل أن يكون دعاء له من النبي ﷺ، فاقتضى هذا الكلام أن المؤمن إذا كان على حالة حسنة من حسن عبادة وخمول وقناعة باليسير، فإنه يغبط بتعجيل موته على هذه الحالة، خشية أن يفتن في دينه ويتغيَّر عما عليه.

ولهذا المعنى شرع تمني الموت وطلبه، خشية الفتنة في الدين.

وفي «المسند» مرفوعًا: «**لا يتمنين الموت إلَّا من وثق بعمله**».

فمن كان على حالة حسنة في دينه فإنه يغبط بموته قبل تغير حاله.

كان أبو الدرداء رضي الله عنه إذا مات الرجل على الحالة الصالحة قال: هنيئًا لك، يا ليتني مكانك. فقالت له أم الدرداء في ذلك، فقال: هل تعلمين يا حمقاء، أن الرجل يصبح مؤمنًا ويمسي منافقًا، يسلب إيمانه وهو لا يشعر، فأنا لهذا الميت أغبط مني لهذا بالبقاء والصلاة والصوم.

وقيل: ما تحب لمن تحب؟ قال: الموت.

قيل له: فإن لم يمت؟ قال: قلة المال والولد.

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يتمنى الموت، فقيل له، فقال: لو أني أعلم أني أبقى على ما أنا عليه لتمنيت البقاء عشرين سنة.

ورأى أبو هريرة رضي الله عنه شبابًا يتعبدون، فقال: ليت الموت ذهب بهؤلاء.

وكان داود الطائي يبكي، ويقول: أخاف أن يطول عمري.

وسبب هذا أن من أطاع الله أحب لقاءه؛ كما قال الصديق في وصيته لعمر: إن أنت حفظت وصيتي لم يكن غائب أحب إليك من الموت، ولابد لك منه وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ =

. . . . . .

= ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [البقرة].

وقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأنعام]. ومن أراد الله به خيرًا عسَّله، فاستعمله بعمل صالح قبل موته فيقبضه عليه، إنما الأعمال بالخواتيم.

وقوله: «**قلت بواكيه**» لما كان هذا المؤمن خفيف الحاذ، قليل العيال، لم يكن له عند الموت كبير أحد يبكي عليه، خلاف من له أهل وولد وخدم وحشم وعشيرة، فإنه يكثر بواكيه مع قلة غناهم عنه، بل يزيد بكاؤهم في عذابه كما في الصحيح عن النبي ﷺ: «**إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه**»، فإنهم كثيرًا ما يفعلون ما لا يجوز من النياحة واللطم، وتحريق الثياب، وإتلاف الأمول، والتسخط لقضاء الله، وذلك كله يعذب به الميت ويتألم به. ولهذا أوصى كثير من السلف أهلهم أن لا يبكون عليهم.

وقال الحسن: شر الناس لميت أهله يبكون عليه ولا يقضون دينه، فهم يفعلون معه ما يضره، ولا يفعلون ما ينفعه في قبره، وكثر من يبكي على الميت عند موته، إنما يبكي لفقد حظه منه، إما من نفعه الحاصل له به من مال أو غيره، أو لفقده الأنس به ونحو ذلك من حظوظ الباكين، ولا يبكون رحمة لما هو فيه، وبكاء الرحمة هو بكاء العارفين دون بكاء الحزن.

قوله: «قل تراثه»: فسَّره الإمام أحمد وغيره ميراثه بعد موته، يعنيان ما يخلف من الدنيا بعده يكون قليلًا نزرًا يسيرًا، هذه سنة الأنبياء.. والنبي ﷺ لم يخلف إلا آلات الجهاد؛ ففي الصحيح عنه أنه لم يخلف إلا سلاحه، وبغلته، وأرضا جعلها صدقة.

ولما احتضر أبو بكر الصديق رضي الله عنه قال لعائشة رضي الله عنها: يا بنية إنا ولينا أمر المسلمين فلم نأخذ لهم دينارًا ولا درهمًا، ولكنا أكلنا من حريش طعامهم في بطوننا، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا، وإنه لم يبق عندنا من مال المسلمين قليل ولا كثير إلَّا هذا العبد الحبشي، وهذا البعير الناضح، وجرد هذه القطيفة، فإذا مت فابعثي بهن إلى عمر. فلما جاء الرسول إلى عمر بذلك، بكى عمر، وقال: رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده.

ولما احتضر عمر بن عبد العزيز قال: لا تتهموا الخازن فإني لا أدع إلَّا إحدى وعشرين دينارًا، وصى منها بوفاء ديون، فلم يبق لورثته سوى أربعة =

٣٧ ـ قال أبو بكر الآجري: حدثنا أبو جعفر، محمد بن الحسن الدقاق، ثنا محمد بن عبد الله بن عمار الموصلي، ثنا المعافى بن عمران، عن شريك، ثنا عبد الله بن يزيد، عن كميل بن زياد النخعي، قال: سمعت ابن مسعود رضي الله عنه، يقول: إنه سيأتي عليكم زمان لو وجد فيه أحدكم الموت يُباع لاشتراه، وسيأتي عليكم زمان يغبط فيه الرجل بخفَّة الحاذ كما يُغبط فيه بكثرة المال والولد[1].

٣٨ ـ قال أبو بكر الآجري: أنشدني أبو بكر عبد الله بن حُميد المؤدِّب في ذلك:

أخصُّ الناسِ بالإيمانِ عبدٌ ... خفيفُ الحاذِ مَسكنُه القِفار

= عشر دينارًا، هذا وجميع مملكة الإسلام تحت يديه.

ودخلوا عليه في مرض موته وعليه قميص قد اتسخ جيبه وتحرق، فقال مسلمة بن عبد الملك لأخته ـ وهي زوجة عمر ـ: ناوليني قميصًا سوى هذا حتى يلبسه أمير المؤمنين فإن الناس يدخلون عليه. فقال عمر: دعها يا مسلمة، فما أمسى ولا أصبح لأمير المؤمنين ثوب سوى الذي ترى عليَّ.

وكان يحيى بن أبي كثير من العلماء الربانيين، وكان حسن اللباس حسن الهيئة، فمات ولم يخلف سوى ثلاثين درهما كفنوه بها.

وكان الأوزاعي قد وصل إليه في حياته من ملوك بني أُمية وبني العباس أكثر من سبعين ألف دينار، فأنفقها كلها في سبيل الله وفي الفقراء، فمات ولم يخلف سوى سبعة دنانير.

ومات الإمام أحمد ولم يخلف سوى قطعًا في خرقة، كان وزنها دون نصف درهم، وترك دينًا عليه وفي من أجرة عقار خلفه.

وكان محمد بن أسلم الطوسي من العلماء الربانيين، فمات ولم يخلف سوى كسائه وإناء لوضوئه، فتصدقوا به.

ووصَّى معروف أن يتصدَّق عند موته بقميصه الذي عليه، وقال: أحب أن أخرج من الدنيا كما دخلت إليها عريانًا.

وقال سفيان: يعجبني أن يموت الرجل ولا يخلف كفنًا. اهـ.

(١) «السنن الواردة في الفتن» (١٨١).

له في الليلِ حَظٌّ من صلاةٍ ... ومن صومٍ إذا جاءَ النهار
وقوت النفسِ يأتي في كَفافٍ ... وكان له على ذاك اصطبارُ
وفيه عفَّةٌ وبه خُمولٌ ... إليه بالأصابعِ لا يُشارُ
وقلَّ الباكياتُ عليه لمَّا ... قضى نحبًا وليس له يَسارُ
فذلك قد نجا مِن كلِّ شرٍّ ... ولم تَمْسَسْه يومَ البعثِ نَارُ[1]

٣٩ ـ قال أبو بكر الآجري: ثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد العطار، قال: ثنا أبو بكر أحمد بن عتاب، قال: سمعت أبا بكر يقول:

يا من يُريدُ بزعمِه الإخمالا ... إن كان حقًّا فاستعد خصالا
ترك التذاكر والمَجالس كلها ... واجعل خروجك للصلاة خَيالا
بل كن بها حيًّا كأنك ميتٌ ... لا يَرتجي منه القريبُ وصِالا وصُالا
وأْنَسْ بربِّك واعلمنَّ بأنَّه ... عونُ المُريدِ يُسدِّدُ الإخلالا
يُعطي ويَثني بالعطاءِ تَفضُّلًا ... بعدَ الثوابِ ويَبْسُطُ الآمَالا
من ذا يُريدُ مع الودودِ مُؤانسًا ... من ذا يُريدُ لغيرِه أشغالا
من ذا يَلذُّ بَغيرِ ذكرِ مَليكِه ... من ذا يُريدُ لغيرِه أعمَالا
لا تَقنعنَّ مِن الحياةِ بغيرِه ... وابذُلْ قُواكَ وقطِّعِ الأوصالا
فلئن بَلغتْ لأنت أكرمُ من بها ... ولئن هلكتْ فما طَلبت مُحَالا[2]
من ذاق[3] كأسَ الخوف ضاق بذرْعِه ... حتى ينالَ مُرادَه إن نَالا
حاشا مُؤمِّلُ سيديٍّ مِن خَيبةٍ ... جلَّ الجوادُ بفعلِه وتعالا[4]

---

(١) رواه المصنف في «الغرباء» (٣٥).
(٢) في الأصل: (حلالا)، ولعل الصواب ما أثبت.
(٣) في الأصل: (ضاق)، ولعل الصواب ما أثبت.
(٤) «الغرباء» (٤١).

٦ ـ الترغيب في الانشغال بالعبادة ولزوم الصمت أيام الفتن

٤٠ ـ أخبرنا أبو محمد عبد الله بن صالح البخاري، ثنا محمد بن سليمان لوين، ثنا حماد بن زيد، عن المعلى بن زياد، عن معاوية بن قُرَّة، عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**العبادةُ في الهرج كالهجرة إليَّ**»(١).

٤١ ـ قال أبو بكر الآجري: ثنا أبو بكر ابن أبي داود، ثنا أحمد بن صالح المصري، ثنا ابن وهب، ثنا ابن لهيعة، وعمرو بن الحرث، عن يزيد بن عمرو المعافري، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صمت نجا**»(٢).

٤٢ ـ قال أبو بكر الآجري: ثنا أبو بكر قاسم بن زكريا المطرز، ثنا عبد الله بن أبي البختري الطائي، ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، ثنا عبد العزيز بن محمد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اطلع على أبي بكر رضي الله عنه وهو يمد لسانه، فقال: ما تصنع يا خليفة رسول الله؟!

فقال: هذا أوردني الموارد، إن رسول الله ﷺ قال: «**ليس شيء في الجسد إلَّا يشكوا اللسان إلى الله عزَّ وجلَّ**»(٣).

---

(١) «الشريعة» (٨٢). والحديث رواه مسلم (٢٩٤٨).

(٢) «التمهيد» (٢١/ ٣٧).
رواه أحمد (٦٤٨١)، والترمذي (٢٥٠١)، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة. اهـ.

(٣) «الفوائد الحسان عن الشيوخ الثقات» (١٣). =

٤٣ ـ قال أبو بكر الآجري: كان ابن المبارك كثيرًا يتمثل بهذه الأبيات:

اغتنم ركعتين زلفى إلى الله ... إذا كنت فارغًا مستريحا
وإذا ما هممت بالنطق في الباطل ... فاجعل مكانه تسبيحا
فاغتنام السكوت أفضل من خوض ... وإن كنت بالحديث فصيحا[1]

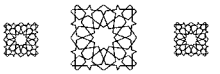

= رواه أبو يعلى في «مسنده» (٥)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٣)، والمرفوع منه لا يثبت؛ لأن الصحيح فيه الإدارج من قِبل عبد الصمد، كما بينه الدارقطني في «أطراف الغرائب» (١).

والموقوف رواه مالك في «الموطأ» (٢٨٢٥)، وابن أبي شيبة (٢٧٠٣١) عن زيد بن أسلم، عن أبيه: أن عمر بن الخطاب دخل على أبي بكر الصديق، وهو يجبذ لسانه، فقال له عمر: مه غفر الله لك، فقال أبو بكر: إن هذا أوردني الموارد.

(١) الحنائيات «الأربعين في إرشاد السائرين» (ص٥٢)، و«الطبقات للشافعية الكبرى» (١/ ٢٨٦).

الزهد في الدنيا يدعو إلى اعتزالها

٤٤ ـ قال أبو بكر الآجري: أنبا أبو جعفر محمد بن الحسن بن هارون بن بدينا، أنبا محمد بن عبد الله بن عمار، ثنا المعافى بن عمران، عن المسعودي، عن عمرو بن مرة، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: اضطجع النبي ﷺ على حصير فأثر بجلده، فلما استيقظ جعلت أمسحه عنه، وأقول: يا رسول الله، ألا آذنتنا فوضعنا على هذا الحصير شيئًا يقيك منه، فقال ﷺ: «**ما لي وللدنيا، وما أنا والدنيا إلَّا كراكب استظلَّ تحت شجرة ثم راح وتركها**»(١).

٤٥ ـ قال أبو بكر الآجري: ثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، ثنا محمد بن زنبور المكي، ثنا إسماعيل بن جعفر، ثنا عَمرو بن أبي عمرو، عن المطلب بن عبد الله، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**من أحبَّ دنياه أضرَّ بآخرته، ومن أحبَّ آخرته أضرَّ بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى**»(٢).

٤٦ ـ قال أبو بكر الآجري: حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد

---

(١) «أمالي ابن بشران» (١٥٥٥). والحديث رواه أحمد (٤٢٠٨)، والترمذي (٢٣٧٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) «أمالي ابن بشران» (١٥٥٦). والحديث رواه أحمد (١٩٦٩٧).
قال الدوري: سئل يحيى بن مَعين: سمع المطلب من أبي موسى رضي الله عنه؟ قال: لا. «تاريخه» (٤١٦٩)

الواسطي، قال: ثنا هارون بن عبد الله، قال: ثنا سيار بن حاتم، قال: ثنا جعفر بن سليمان، قال: ثنا أبو كعب الأزدي، قال: سمعت الحسن يقول: المؤمن في الدنيا كالغريب لا يجزع من ذُلِّها، ولا يُنافس في عِزِّها، للناس حالٌ وله حال[١].

٤٧ ـ قال أبو بكر الله الآجري: ثنا أبو شعيب، عبد الله بن الحسن الحراني، ثنا يحيى بن أيوب المقابري العابد، ثنا إسماعيل بن جعفر، أخبرني عمرو، عن عبد الله بن عبد الرحمٰن الأشهلي، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لُكع بن لُكع**»[٢].

٤٨ ـ قال أبو بكر الآجري: أنا أبو جعفر محمد بن الحسن بن بُدينا الدقاق، ثنا محمد بن عبد الله بن عمار الموصلي، ثنا المُعافى بن عمران الموصلي، عن أبي الأشهب، عن الحسن، قال: مرَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه على مزبلة، فاحتبس عندها، فكان أصحابه تأذوا بها، وقال: هذه دنياكم التي تحرصون عليها[٣].

٤٩ ـ قال أبو بكر الآجري: ثنا عبد الله بن محمد العطشي، ثنا إبراهيم بن الجنيد، ثنا محمد بن بشير بن مروان الكاتب، ثنا ابن المبارك، عن المبارك، عن أشرس، عن أبي عبد الرحمٰن ـ وكان فاضلًا ـ، عن وهب، قال: مرَّ عابدٌ براهبٍ فأشرف عليه، فقال: منذ كم أنت في هذه الصومعة؟

قال: منذ ستين سنة.

---

(١) «الغرباء» (٧).

(٢) «أمالي ابن بشران» (٢٨٣)

والحديث رواه أحمد (٢٣٣٠٣)، والترمذي (٢٢٠٩)، وقال: هذا حديث حسن إنما نعرفه من حديث عمرو بن أبي عمرو.

في «النهاية» (٤/٢٦٨): اللكع عند العرب: العبد، ثم استعمل في الحمق والذم.

(٣) «أمالي ابن بشران» (١٢١٨).

قال: فكيف صبرت فيها ستين سنة؟

قال: مرَّ فإن الدنيا تمرُّ.

ثم قال: يا راهب، كيف ذكرك للموت؟

قال: ما أحسبُ عبدًا يعرف الله تعالى تأتي عليه ساعة لا يذكر الله فيها، وما أرفع قدمًا إلَّا أظن أني لا أضعها حتى أموت.

قال: فجعل العابد يبكي. فقال له الراهب: هذا بُكاؤك في العلانية، فكيف أنت إذا خلوت؟

فقال العابد: إني لأبكي عند إفطاري فأشرب شرابي بدموعي، وأبل طعامي بدموعي، ويصرعني النوم فأبل مضجعي بدموعي.

قال: أما إنك إن تضحك وأنت معترف لله عَزَّوَجَلَّ بذنبك، خيرٌ لك من أن تبكي وأنت تمن على الله عَزَّوَجَلَّ.

قال: فأوصني بوصية.

قال: كن في الدنيا بمنزلة النحلة، إن أكلت أكلت طيبًا، وإن وضعت وضعت طيبًا، وإن سقطت على شيءٍ لم تضره ولم تكسره، ولا تكن في الدنيا بمنزلة الحمار، إنما هِمّته أن يشبع، ثم يرمي بنفسه في التراب، وانصح لله عَزَّوَجَلَّ نصح الكلب لأهله، فإنهم يجيعونه ويطردونه وهو يحرسهم[1].

٥٠ ـ قال أبو بكر الآجري: ثنا عبد الله بن محمد العطشي، ثنا إبراهيم بن الحُميدي، حدثني إبراهيم بن سعيد، عن عبد المنعم بن إدريس، ثنا عبد الصمد بن معقل، عن وهب بن مُنبِّه، قال: كان سائح يعبد الله، ويضعف على نفسه في العبادة، فأتاه الشيطان فتمثَّل له بإنسان يريه أنه يعبد الله ويضعف عليه في العبادة،

---

(١) «الحلية» (٤/ ٤٣).

فأحبَّه السائح، لما رأى من اجتهاده وعبادته، فقال له الشيطان والسائح في الصلاة: لو دخلنا القرية فخالطنا الناس وصبرنا على أذاهم كان أعظم لأجرنا. فأجابه السائح إلى ذلك، فلما أخرج السائح رجله من باب بيته لينطلق معه أتاه مَلَك، فقال: إن هذا شيطان، وإنه أراد أن يفتنك.

فقال السائح: رجلٌ حُرِّكت في معصية الله تعالى، فما حوَّلها من موضعها ذلك حتى فارق الدنيا[1].

٥١ ـ حدثنا أبو بكر الآجري، ثنا عمرو بن أيوب السقطي، ثنا أبو همام، ثنا قبيصة، ثنا سفيان، عن رجل من أهل صنعاء عن وهب، قال: مرَّ رجل على راهب، فقال: يا راهب، كيف دأب نشاطك؟... فذكر مثله[2].

٥٢ ـ قال أبو بكر الآجري: ثنا عبد الله بن محمد العطشي، قال: ثنا إبراهيم بن الجنيد، ثنا إبراهيم بن سعيد، عن عبد المنعم بن إدريس، عن عبد الصمد، عن وهب بن مُنبِّه، قال: مرَّ نبيٌّ من الأنبياء على عابد في كهف جبل، فمال إليه، فسلَّم عليه، فلما رد عليه السلام، ثم قال له النبيُّ: يا عبد الله، منذ كم أنت هاهنا؟

قال: منذ ثلاثمائة سنة.

قال: فمن أين معيشتك؟

قال: من ورق الشجر.

قال: فمن أين شرابك؟

قال: من ماء العيون.

قال: فأين تكون في الشتاء؟

---

(١) «الحلية» (٤/ ٥٥).

(٢) «الحلية» (٢/ ٣٧).

قال: تحت هذا الجبل.

قال: وكيف صبرُك على العبادة؟

قال: وكيف لا أصبر، وإنما هو يومي إلى الليل، وأما أمس فقد مضى بما فيه، وأما غد فلم يأت.

قال: فعجب النبيُّ من حكمة قوله: إنما هو يومي إلى الليل[1].

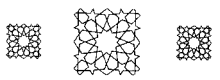

(١) «الحلية» (٤/ ٦٤).

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الكتاب الثالث: التفرد والعزلة	١٣٦٥
- المقدمة	١٣٦٧
- الترغيب في لزوم البيوت	١٣٦٨
- اعتزال الناس والذهاب إلى الشعاب فرارًا من الفتن	١٣٧٢
- الأمر بالإقبال على النفس وترك أمر العامة	١٣٧٦
- الترغيب في قلة معرفة الناس والانشغال بالنفس	١٣٨٠
- الحث على قِلة الولد أيام الفتن	١٣٨٧
- الترغيب في الانشغال بالعبادة ولزوم الصمت أيام الفتن	١٣٩٥
- الزهد في الدنيا يدعو إلى اعتزالها	١٣٩٧